

وظيفة السند والإجازة في حفظ الهوية العلمية بالجزائر الشيخ محمد الحرشوي الندرومي أنموذجاً

✉ حموشريفة

دكتورة، جامعة وهران 01 – الجزائر

cherifa.hamoul4@gmail.com

ملخص البحث

حظيت منظومة 'السند والإجازة' في التراث الاسلامي، مرتبةً عليّةً، ذلك باعتبارها أداة معرفية وثقت بعض العلوم من التحريف والتدليس، وجعلت من 'الإسناد' ركناً مكيناً في التحقيق العلمي. وفي ربوع الجزائر، وتحديدًا في مدينة ندرومة، برزت قامات علمية جسدت هذا التقليد الصارم في الضبط والتمحيص، ألا وهو الشيخ محمد الحرشوي الندرومي (ت: 1896م) الذي جمع بين الاستقامة الأخلاقية والرسوخ المعرفي، ولهذا نستعرض في هذه الورقة العلمية كيف استمرت سلاسل القراءة والتعليم والإجازة كحصن للهوية العلمية في بلادنا الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الجزائر. التراث، الإسناد، الهوية، الاجازة، المعرفة.

The Function of Isnad (Chain of Transmission) and Ijazah (Authorization) in Preserving Scholarly Identity in Algeria: Sheikh Muhammad al-Harshawī al-Nadroumi (d. 1896) as a Model

✉ HAMOU Cherifa

PhD at University of Oran 01 (Algeria)

cherifa.hamoul4@gmail.com

ABSTRACT:

The system of Isnad (Chains of Transmission) and Ijazah (Scholarly Authorizations) has held a sublime status in Islamic heritage, serving as a cognitive tool that safeguarded sciences from distortion and falsification, and establishing the Chain of Transmission as a solid pillar of scholarly verification. Within the Algerian landscape, specifically in the city of Nedroma, prominent scholarly figures emerged who embodied this rigorous tradition of precision and scrutiny. Most notably, Sheikh Muhammad al-Harshawī al-Nadroumi (d. 1896), who combined moral integrity with profound erudition. Thus, this scholarly paper explores how the lineages of recitation, education, and authorization persisted as a fortress for the scholarly identity in Algeria.

KEYWORDS: Algeria, Heritage, Isnad, Identity, Ijazah, Knowledge.

1. مقدمة:

يعد حقل "ثبت الأسانيد والإجازات" مفتاحاً لفهم المسار المعرفي للشيخ محمد الحرشوي الندرومي؛ إذ تعكس تفاصيل طلبه للعلم وحرصه على الملائمة في حلقات التدريس، وما تخلل ذلك من رحلات علمية دؤوبة تجاوزت حواضر الجزائر لتصل إلى مراكز الإشعاع في المغرب الأقصى، وعلى رأسها مدينة فاس، وإن هذا الشغف بتقصي بطون المتون ولقاء كبار المشايخ والعلماء لنيل التزكية والاستزادة، يبرهن على رغبة أكيدة في ضبط العلوم من منابعها الأصلية.

ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الورقة العلمية إلى تسليط الضوء على دور توثيق الأسانيد الجزائرية في حفظ العلوم ببلاد المغرب، متخذة من إسهامات الفقيه محمد الحرشوي أنموذجاً للتواصل العلمي الرصين.

2. حياة الشيخ محمد الحرشوي:

1.2 الميلاد والنشأة؟

هو الشيخ الأصولي الجامع، أبو المكارم محمد بن أحمد بن محمد الحرشوي الندرومي (1241-1313هـ)، سليل بيت علم وفضل بمدينة ندرومة العريقة، نشأ في كنف أسرة عُرِفَتْ بمكانتها العلمية وحضورها الروحي في حومة "درب حلاوة" بباب الجياد، حيث ارتبطت العائلة بالطريقة الدرقاوية شاذلية السند، واستقى الشيخ مبادئ العلوم الأولى في بيئته المحلية، فكانت انطلاقته المباركة على يد جده العلامة سيدي محمد الحرشوي، الذي لقنه حروف الهجاء وأشرف على ختمه للقرآن الكريم، وفي هذا المحضن العلمي، نهل من معين الأوراد والمنظومات، حيث حفظ 'المصلية' 'المشيشية' وضبط 'نظم الخراز' في فن الرسم والضبط (الحذف والتشكيل)، واضعاً بذلك اللبنة الأولى لمساره العلمي الحافل.

2.2 مرحلة الاتقان والتعلم

أولى الشيخ الحرشوي عناية فائقة بضبط النص القرآني؛ حيث جَوَّد القرآن الكريم عرضاً وتحقيقاً على يد الشيخ سيدي "الجندوز بن عدة" بمدينة ندرومة، كما تلقى فنون القراءة وتصحيح السور على الفقيه البشير بن البقال بن موسى الندرومي، فيما تناوب على تصحيح ألواحِه وتدقيق حفظه كوكبة من القراء والفقهاء، منهم: سيدي محمد بن محمد-فتحاً، والسيد أحمد بن البشير الغماري، والسيد بزيان بن الصغير، والسيد أحمد بن أحمد الغماري.. وغيرهم.

ولم تقتصر على هذا فحسب؛ بل اتجه صوب المتون الفقهية ودرس بمسقط رأسه ندرومة متن "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" لابن عاشر الفاسي، متلقياً إياه عن شيوخ فضلاء، في

مقدمتهم الشيخ "العباس بن رحال"، والشيخ "محمد فتحاً رحمون"، والشيخ "أحمد الزرهوني"، وهو ما يعكس تنوع مشاربه العلمية ورسوخ قدمه في المذهب المالكي منذ بداياته الأولى.

3.2 الرحلات العلمية والمعرفية

لم يرض الشيخ الحرشوي بما حصّله في مدينة ندرومة (الحفناوي، 1991م)؛ بل دفعه السمو المعرفي إلى خوض غمار الرحلة؛ فشد الرحال صوب مدينة وجدة وفاس، حيث نهل من معارف شيوخها الأعلام، ففي وجدة، لازم الشيخ المتقن "سيدي جلّول برورو المستغاني" وقرأ عليه "مختصر خليل" دراية وتدقيقاً، كما اتصل بالفقيه الناقد "أحمد بن عيسى المستغاني" وأخذ عنه ذات المتن بسنده المتصل بمشايع مازونة الكبار، كالعلامة "أبي طالب محمد بن شارف المازوني" وحفيده "أحمد بن هني"، ثم قادته رحلته إلى حاضرة العلم "مازونة"، وهناك تضيع بمسائل الفقه المالكي على يد شيخ الجماعة "محمد بن أحمد بن هني" الذي أجازته في "المختصر" وبمروياته الفقهية، كما ظفر بإجازة الفقيه "عيسى بن مبارك" في المتن ذاته، وتلقى "الرسالة" عن الشيخ "أبي مدين بن التهامي"، وواصل تحصيله على يد الشيخين "محمد بن الطيب الوراغي" و"عبد القادر بن الطيب الوراغي" الذي تخرج على أيديهما، ولم تخل مسيرته من تبرك بحياض جامع القرويين بفاس، حيث انخرط في سلك حلقاته العلمية مدة من الزمن، كانت هذه بمثابة الصقل النهائي لملكاته المعرفية، ليعود برصيدٍ وافر من الأسانيد والتراكيب التي جعلت منه "حلقة وصلٍ متينة بين حواضر العلم المغاربة".

3. المحطات الفقهية والأصولية

1.3 المدينة العامة (فاس):

كشفت مخطوطات الشيخ الحرشوي، لاسيما ما عرضه في مخطوط "القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط" ومخطوطه المسمى "المواهب المعطية في ذكر أجوبة المسائل الفقهية المنشأة عن الأسئلة المرضية"، عن عمق المحطات الفقهية بحاضرة فاس؛ ففي رحابها أتم ضبط "الهمزية" بعدما بدأها بندرومة، متلقياً إياها عن خطيب القرويين العلامة "السيد الكبير الفاسي"، كما نال الإجازة في "البردة" الشريفة، وتجاوز تحصيله المتون المنظومة إلى أمهات الكتب؛ حيث نهل من كتاب "الشفاء" للقاضي عياض، وكتاب "دلائل الخيرات" للجزولي (دالفان، 2023)، ولم يقتصر دوره في القرويين على الطلب فحسب؛ بل تصدّر للتدريس؛ حيث أقرأ الطلبة "فرائض الشيخ خليل" وختمها تقييداً وضبطاً، معتنياً بكتب الذبائح والفرائض للتلمساني وغيره.

أما في تلمسان الحاضرة، فقد بلغت شخصيته العلمية نضجها إبان توليه وظيفة التدريس بالجامع الأعظم؛ حيث بدأ في تأسيس مشروع علمي رصين تمثل في جمع تقايده وتحقيقاته، مطعماً إياها بنفائس شروح المالكية كشروحات ابن مرزوق (ت: 842هـ) المسمى "توضيح المشتبه من ألفاظ المقتضب" أو شرح "فرائض مختصر خليل" لأبي الحسن علي القلصادي (ت: 891هـ)، وشرح "فتح الجليل في حل ألفاظ جواهر درر خليل" لمحمد بن إبراهيم التتائي (ت: 942هـ)، وهو شرح به مختصر خليل في الفقه شرحاً مطولاً، أو "شرح الخرشي على مختصر خليل" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخراشي (ت: 1101هـ).

وقد توجت قراءة هذا الكتاب بتأليفه الموسوم بـ "النهر الفاضل في حل ألفاظ المختصر في الفرائض"، وقد أراده الشيخ جامعاً لما تفرق في غيره، ومنقحاً ييسر عصي المسائل لطلبة العلم وعامته، ليغدو حلقة وصل متينة في سلسلة الدرس الفقهي الجزائري.

واستكمل الشيخ الحرشوي بناءه المعرفي بلقاء الراسخين من علماء فاس، حيث نهل من معين العلامة "محمد بن عبد الرحمن الفيلاي السجلماسي" (ت: 1275هـ)، والفقيه "محمد بن محمد التازي" الشهير بـ (مسواك) (ت: 1283هـ)، كما اتصل بآل بن سودة الأعلام؛ فأخذ عن الشيخ "محمد المهدي بن الطالب" (ت: 1294هـ)، وعن "أبي حفص عمر بن الطالب" (ت: 1285هـ)، فضلاً عن ملازمه للشيخ "الداودي بن العربي التلمساني".

ويلاحظ في مساره أنّ محطات الوساطة كوجدة ومازونة قد انصبت عنايتها على "المختصر الخليلي" حصراً، بخلاف فاس التي اتسعت فيها مشاركته العلمية.

وضمن علوم النقل فقد تلقى الحرشوي "ألفية ابن مالك" ومجمل "صحيح البخاري" عن الشيخ "أحمد بن عيسى البرنسي"، بينما تلقى وضبط "رجز الفاسي" في مصطلح الحديث على يد الشيخ المشارك "أبي غالب عبد السلام بن الطائع الإدريسي"، كما عمق دراسته للألفية وصحيح البخاري -قراءة وإجازة- على يد ثلة من الأكابر أمثال "محمد بن إدريس البشراوي"، و"أحمد بن محمد المرينسي" (ت: 1277هـ)، و"أبي بكر بن كيران" (ت: 1277هـ)، وعن الشيخ المهدي بن سودة، وعن الشيخ أحمد المرباط (ت: 1269هـ) الذي كان يدرس بجامع القرويين ومسجد الرصيف.

وعقب عودته إلى تلمسان، انبرى الشيخ الحرشوي لتبليغ ما حصّله من معارف؛ فدرّس "المقدمة الأجرومية" و"ألفية ابن مالك" مرات عديدة، ورغم طموحه العلمي لتدريس "رجز العمريطي" و"لامية الجمل" التي نظمها أبو عبد الله السلاوي الشهير بالمجرادي، إلّا أن عوائق الدهر حالت دون ذلك، وفيما يخص الجانب العقدي، فقد سجل الشيخ ملاحظة منهجية حول الدرس الفاسي؛ حيث رصد انحصار العناية في علم الكلام بمتن "أم البراهين" (الصغرى) للإمام السنوسي مع حاشية الدسوقي، وهو ما تلقاه

عن الشيخ "الداودي بن العربي التلمساني" وغيره، معتبراً أن شرح "البيجوري"، وتقريراته هي الأقرب للتحقيق والتقريب في عصره.

وفي فن المنطق، ظفر الشيخ بدراسة متن "السلم المرونق" للشيخ عبد الرحمن الأخضر (ت: 953هـ)، حيث تلقاه قراءة وإجازة من فاه الشيخ "الداودي بن العربي"، وعن الشيخ "المهدي بن سودة" (دالفان، 2023)، ما يعكس اكتمال آتته العلمية في الفنون النقلية آنذاك.

2.3 حاضرة تلمسان وبلدية عمي موسى بغليزان:

لم يقتصر الإشعاع العلمي للشيخ الحرشوي على موطنه الأصلي، بل امتد أثره عبر رحلاته التعليمية في ربوع الجزائر؛ ففي تلمسان، تواترت حلقاته العلمية لطلبة العلم، وفي عام 1304هـ شد الرحال لزيارة ضريح "سيدي محمد بن البخاري" بقصر البخاري، ومنها دخل مدينة المديّة؛ حيث حلّ ضيفاً على مفتيها "علال بن الفخار"، وهناك، وبطلب من المفتي وطلبة الجامع، تصدّر للتدريس وقرأ متن "جوهرة التوحيد" لإبراهيم اللقاني بحاشية إبراهيم البيجوري في خمسة أيام، وسط إقبال جماهيري حاشد تجاوز المائتي طالب في يوم الختم (دالفان، 2023).

وفي محطة أخرى ببلدة عمي موسى، استجاب الشيخ لرغبة قاضي القرية وطلبتها في دراسة "جوهرة اللقاني" في علم الكلام، فآتمّ إقراءها في ثمانية أيام بشرح البيجوري، مكللاً ذلك بمنح الإجازة للمفتي والحاضرين بسنده المتصل، كما سجلت محطته التلمسانية نشاطاً متميزاً في علوم التوقيت والفلك؛ حيث أقرأ لطلبته أرجوزة "المقنع في اختصار علم أبي مفرع" لمحمد بن سعيد المرغيثي (الولاي، 1999)، فاتحاً بذلك آفاقاً جديدة لطلابه في العلوم العقلية إلى جانب العلوم الشرعية.

4. الآثار العلمية والمصنفات الفقهية التي كتبها الشيخ محمد الحرشوي:

1.4 الآثار الفقهية:

هذا، ولم ينحصر دور الحرشوي في التدريس فحسب؛ بل امتد علمه بتزويد الخزانة الجزائرية بمؤلفات قيّمة حاولت سدّ الثغرات المعرفية التي رصدتها في عصره؛ ففي بيئة تلمسان التي طغى عليها "المختصر الخليلي"، سعى الحرشوي لتنويع المشارب العلمية، ومن أبرز نتاجه في العقيدة والتوحيد، نظمه لـ "صغرى السنوسي" بأسلوب الرجز في منظومة وسماها بـ "حلة التسديد فيما به الخروج من ربة التقليد"، والتي أردفها بشرح مستفيض سماها "القصر المشيد أو الركن الشديد في حل ألفاظ حلة التسديد"؛ وهو عمل رائد كان يروم طبعه لولا عوائق الزمان حالت دون ذلك.

وفي مجال الأوراد والمدائح، وضع الحرشوي شرحاً على نظم "المرادي" للشيخ إبراهيم التازي (سعد الله، 1998) (تلميذ الإمام الهواري ودفين وهران)، وشرحاً آخر على "بردة المديح" للإمام البصيري. أما في علم الفرائض، فقد تُوّجت مسيرته بمؤلفه المخطوط الضخم "النهر الفائض في حل ألفاظ المختصر في الفرائض"؛ وهو ثمرة تقايدته التي جمعها إبان تدريسه بجامع القرويين والجامع الأعظم بتلمسان، حيث استقصى فيه شروح كبار المالكية كالتتائي، والقلصادي، والخرشي، وابن مرزوق. ويعد هذا المخطوط من النفائس المحفوظة اليوم بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، توجد نسخة تامة خطها تلميذه البار "أبو فلجة بن امحمد"، وعليها تعليقات وضوابط بخط الشيخ الحرشوي نفسه.

ومن مؤلفاته المخطوطة المشهورة "المواهب المعطية في ذكر أجوبة المسائل الفقهية المنشأة عن الأسئلة المرضية"، وهو شرح موسوعي يقع في مجلدين، وضعه على متن "الأسئلة المرضية" للشيخ محمد الخروبي القلعي (ت: 1279هـ)، وقد تجلت في هذا العمل براعة الشيخ في التحقيق الفقهي؛ حيث جمع أجوبة وافية عن نوازل وقضايا فقهية شائكة طُرحت من قبل كبار الفقهاء والمشايع، كما اعتمد في تحرير هذا الشرح على عمدة المذهب المالكي، مستنداً بشكل محوري على "مختصر خليل" وشروحه الكبرى كشرح الخرشي وشرح الزرقاني، وعزز بهما استدلالاته بمتون المذهب المعتمدة كـ "المرشد المعين" لابن عاشر بشرح ميارة الصغير، و"رسالة ابن أبي زيد القيرواني" مع شرح أبي الحسن عليها، وبذلك جاء الكتاب جامعاً لشتات المسائل الفقهية، وموثقاً لحركة الفتوى والتدريس في تلك الحقبة، مما يجعله مرجعاً لا غنى عنه للباحثين في النوازل الفقهية.

2.4 الآثار التعليمية والادارية:

جانب آخر رعاه الحرشوي وهو التوثيق التربوي والمنهجي؛ حيث وضع مؤلفاً رائداً وسمه بـ 'الأكياس في جواب الأسئلة عن كيفية التدريس بفاس' (Delphin, 1889)، ويُعد وثيقة تاريخية وتربوية نادرة، تتألف من مقدمة وعشرين فصلاً وخاتمة، رصد فيها الشيخ بدقة متناهية واقع التعليم التقليدي في حاضرة فاس بجميع أبعاده؛ من المواد والمناهج التدريسية، إلى نظام "الإجازة والأسانيد" وضوابط التحصيل العلمي بجامعة القرويين. ونظراً للقيمة العلمية لهذا المصنف، حظي باهتمام الباحثين المستشرقين في القرن التاسع عشر؛ حيث قام المستشرق الفرنسي (Gaëtan Delphin) بترجمته ودراسته ضمن بحثه الموسوم بـ "فاس والتعليم بجامعة القرويين". نشر بمجلة الآثار الجغرافية، 1888م، ج8.

Fas, son université et l'enseignement supérieur musulman, par Delphin, aëtan

ما يعكس المكانة المرموقة التي نالها فكر الحرشوي في الأوساط العلمية الدولية، وقدرته على توثيق النظم التعليمية العربية بأسلوب تحليلي رصين..

5. مسالك الرواية وضوابط الإجازة العلمية لدى الفقيه محمد الحرشوي:

1.5 في مباحث علوم البلاغة:

تجلت سعة مرويات الشيخ الحرشوي وأسانيده في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)؛ حيث تلقى هذه الفنون بحاضرة فاس عن القطبين: "الداودي التلمساني"، والشيخ "المهدي بن سودة" قراءة وإجازة، ولم يقف عند حدود التلقي، بل انبرى في تلمسان لبث هذه المعارف؛ فأقرأ الطلبة "الرسالة السمرقندية" في الاستعارات، و"الجواهر المكنون" للدمنهوري، مبيناً دقائقهما العلمية.

وفي نقدٍ منهجي لواقع الدرس البلاغي في عصره، رصد الشيخ انحصار عناية الطلبة بمتن "تلخيص المفتاح" للقزويني وشروحه المشهورة كشرح "سعد الدين التفتازاني" (ت: 792هـ) وحاشية "الدسوقي" عليه، إضافة إلى حاشية "السكتاني" على "أم البراهين".

وقد تميز تحصيله بالتعمق في الحواشي الطوال، كحاشية "اليكشيري" على شرح "عصام الدين الإسفراييني" للسمرقندية، مما يعكس رغبته في تجاوز المختصرات إلى أمهات الحواشي المحققة.

أما في باب الحديث الشريف، فقد كان للشيخ دورٌ بارز في إحياء مجالس السماع والدراية بتلمسان؛ حيث أقرأ لطلابه "شمائل الترمذي" درايةً وتحقيقاً، وكذا "الأربعين النووية" (دالفان، 2023)، ليجمع بذلك بين ضبط المتن الحديثية وإدراك الأسرار البلاغية، مؤكداً على أهمية وظيفة "السند" في الحفظ والفهم الصحيح للمتون والنصوص.

2.5 في مباحث علوم التفسير:

اتسعت آفاق الشيخ الحرشوي في علم التفسير والتأويل، من خلال اتصاله بأكابر القراء والمفسرين بحاضرة فاس، وفي مقدمتهم أبو محمد عبد الله المدعو الوليد العراقي (ت: 1265هـ)، الذي كان اهتمامه تعليمياً في توضيح المفردات القرآنية وأوجه الإعراب والبلاغة في الآيات، كما تركز تحصيل الحرشوي في هذا الباب على "تفسير الجلالين" مع حاشية "سليمان الجمل"، إضافة إلى "تفسير الثعلبي" الذي كان عمدة التدريس، وقد دوّن الحرشوي ملاحظة منهجية دقيقة حول طبيعة الدروس المسجدية بجامع القرويين في العشرة السابعة من القرن الثالث عشر الهجري (حوالي 1270هـ)؛ حيث كانت حلقات التفسير-للاسيما الجواهر الحسان لعبد الرحمان الثعالبي (ت: 875هـ) (الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،

1997م) التي تُعقد بعد صلاة الصبح وتعتمد على "السرد والرواية" (البقاعي) لا على "التحقيق والدراية" (القاسمي م.، 2004).

وكان الشيخ من الملازمين لهذه المجالس السماعية التي تهدف إلى جرد المتون ونيل بركة السند، مما أتاح له رصيماً وافراً من المرويات التفسيرية التي نقلها لاحقاً إلى حواضر الجزائر، جامعاً بذلك بين بركة الرواية الفاسية ودقة الدراية التلمسانية.

3.5 المرويات النقلية وأسانيدھا: القراءات والحديث والشمال المحمدية أنموذجاً:

سجل الشيخ الحرشوي ملاحظات منهجية حول واقع علم القراءات بمدينة فاس؛ حيث لاحظ انحصار الاشتغال بمتون بعينها كـ "رجز الشاطبي" و "ابن بري" و "مورد الظمان"، وقد نال منها نصيباً وافراً قراءة وإجازة. أما في مصطلح الحديث، فقد اتصلت أسانيد أساطين التحقيق والتدقيق، كالشيخ "المهدي بن سودة" و "أبي غالب عبد السلام": حيث اعتمدوا "رجز الفاسي" ونظم "غرامي صحيح" كمدونات أصلية في عملية التدريس، وفيما يخص كتب الصحاح وشروحها، فقد أبرز الشيخ العناية الفائقة التي حظي بها "صحيح البخاري" في بلاد المغرب العربي، حفظاً وتدويناً، حيث كان شرح "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) و "إرشاد الساري" للقسطلاني (ت: 923هـ) هما المرجعان الأساسيان في مجالس السماع والدراسة.

ما يؤكد أنّ هذه الشروح كانت هي المعول عليها في مجالس التدريس، بينما بقية المصادر كانت للمطالعة والاستئناس، مما يبرز دقة المنهج التعليمي الذي نقله الشيخ الحرشوي إلى الجزائر، محصناً به الهوية العلمية ببلاد المغرب.

4.5 مباحث علوم العربية:

قدم الشيخ الحرشوي تشخيصاً دقيقاً لحال علوم النحو والصرف والاشتقاق بحاضرة فاس إبان إقامته بها؛ حيث لاحظ نوعاً من الفتور في التعاطي مع الأمهات المطولة مقارنة بالمتون المختصرة. فقد انحصر الدرس النحوي غالباً في "المقدمة الآجرومية" بشرح "خالد الأزهرى" وحاشية "أبي النجا"، مع الاستعانة بشروح "الكفراوي" و "الحامدي" و "الأنباري".

كما نالت "ألفية ابن مالك" حظوة كبرى، لاسيما بشرح "المكودي" وحواشي "ابن الحاج الفاسي" و "الملاوي" (دالفان، 2023)، كما رصد الشيخ تفاوت العناية بكتب المتأخرين، حيث كانت "التصريح" للأزهري وحاشية "ياسين"، و "الأشموني" مع حاشية "الصبان" تُطالع للاستزادة عند التفرغ بالنسبة

للتالاب؁ إضافة إلى تقبيدات "إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك" لمحمد بن مسعود الطرنباطى(ت 1214هـ)؁ و"المجرادي" والرجز المسماه"شرح الدرة البهية نظم الأجرومية في أصول علم اللغة العربية" للعمريطي.

وفي ملاحظة نقدية دقيقة؁ أشار الحرشوي إلى تراجع العناية بكتاب "سيبويه" معتبراً ذلك مؤشراً على قصر الهمم وضيق باع الطالب والمطلوب؁ مما أدى لزهد الناس في مطولات كألفية "ابن معطي" و"التسهيل"؁ والاكتفاء بما يحقق الكفاية اللغوية الدنيا لطالب العلم والمتلقي عامة.

5.5 أسانيد المنطق وآلات الرصد (الأسطرلاب) عند الحرشوي:

لم تقتصر مرويائ الشيخ الحرشوي على العلوم النقلية؁ بل امتدت لتشمل أدوات النظر العقلي والحساب الفلكي؛ ففي علم المنطق؁ اعتنى بمتن "السلم المرونق" لعبد الرحمن الأخضرى مقتفياً أثر مشايخ فاس في اعتماد شرح محمد بن الحسن البناني (ت: 1194هـ) (الأخضرى؁ 2002م)؁ و"الحاشية الكبرى" لأحمد المنجور (ت: 995هـ). كما رصد استعانة الطلبة بشروحات "ابن عزوز" و"الشيخ محمد سعيد السوسي" لضبط آليات الاستنباط وتحصيل ملكة الفهم.

أما في علوم التوقيت والآلات الفلكية (الأسطرلاب)؁ فقد كشفت رحلته عن عناية فائقة بـ"الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية" لسبط المارديني (ت: 907هـ)؁ لاسيما بشرحها "الرسالة الشهابية" لأحمد السنباطي (ت: 995هـ)؁ والتي تلقاها عن شيخه المفتي "محمد أبي الخير الأرميوني"؁ وفي ذات السياق؁ ظفر الحرشوي بأسانيد "علم أبي مقرع" من خلال أرجوزة "المقنع" لمحمد بن سعيد السوسي؛ وهي المنظومة التي اختصرت أصول هذا العلم في 99 بيتاً؁ وعُرفت بشروحها المتينة كـ"الممتع" و"المطلع"؁ مما يبرز تكامل الآلة العلمية للشيخ الحرشوي وجمعه بين أسرار الشريعة ودقائق الطبيعة.

6.5 المتن التاريخي والجغرافي عند الشيخ الحرشوي:

تجلت سعة اطلاع الحرشوي في علوم التاريخ والأمصار من خلال رصده للمناهج التعليمية بفاس؛ حيث سجل ملاحظة نقدية مفادها أنّ الدراسات التاريخية كانت تعتمد "الرواية وسرد الأحداث والوقائع" لا على "التحقيق والدراية"؁ وقد شملت مرويائه أمهات الكتب كـ"موسوعة" الاكتفاء؁ بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلثة الخلفاء "لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي" (ت: 634هـ)؁ وكتاب "المغازي" للواقدي (ت: 207هـ)؁ إضافة إلى مراجعته الدؤوبة لمصادر مغربية محورية مثل "روض القرطاس"؁ و"نزهة

الحادي"، و"الإحاطة" لسان الدين بن الخطيب، مما منحه رؤية شاملة لتحولات التاريخ الانساني والاسلامي بالخصوص.

أما في علم الجغرافيا والكُرة، فقد اعتبره الحرشوي علماً عزيزاً نادراً ما يتداوله غير أربابه؛ حيث اتصل بالعلامة "محمد بن الطاهر الحبابي" (المؤقت) وتلقى عنه مبادئ علم الكُرة وجهاز "الربع المجيب". كما استلهم من تراث "القلصادي" (ت: 891هـ) ونال نصيبه من كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لابن الوردي (ت: 861هـ)، ليجمع بذلك بين فقه الواقع التاريخي ودقائق الجغرافيا الكونية، مؤكداً أصالة تكوينه كعالم موسوعي جسر الهوة بين مختلف الفنون والعلوم.

7.5 المرويات التربوية والعملية: مباحث التصوف والعلوم الحرفية:

وفي باب التصوف والرفائق، رصد الحرشوي تنوع المشرب الصوفي بين المغربين الأوسط والأقصى؛ حيث أشار إلى حلقات الوعظ اليومية المعتمدة على "الروض الفائق" للحريشي (ت: 810هـ)، أما جانب الدراية، فكانت تُعقد عقب الفراغ من المطولات الفقهية والتَّحوية، ومن أبرز ما تلقاه الشيخ في هذا الفن، "شرح الحكم العطائية" لابن عباد الرندي (ت: 792هـ)، والشرح الكبير لـ "جسوس" (ت: 1182هـ)، إضافة إلى "الإشارات السنية في بعض معاني المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية" لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد الشطبي (ت: 963هـ) بشرح الشيخ زروق، وهي متن صوفي متميز يُعنى بأداب السلوك.

لم تخلُ رحلة الشيخ الحرشوي من الغوص في "علم الجدول وأسرار الحروف"، وهو الفن الذي عُرفت به الإيالة الغربية ولاسيما بلاد سوس، وقد رصد الشيخ تباين المشارب في هذا العلم بين طرق الغزالي، والشامي، والبوني (الأخضري، 2002م) مستحضراً تصرّفات الأقطاب كالإمام "أبي الحسن الشاذلي" في المثلث والدوائر القرآنية.

ومع ذلك، فقد قدم الحرشوي رؤيته لهذا الفن؛ فوصف أربابه الحقيقيين بأنهم أعز من الكبريت الأحمر، محذراً من كثرة الأدعياء الذين لا نتيجة لعملهم، ومؤكداً أنّ هذا العلم يرتكز على "الرواية والسلسلة" لا مجرد الادعاء، وهو ما جعله يقتفي فيه الأثر الصحيح بعيداً عن أوهام المتفنين.

وفي مقابل هذا العلم الروحي، أولى الشيخ عناية فائقة بـ "علم التوثيق"، وهو الركيزة الإجرائية لحفظ حقوق المسلمين وضبط نوازلهم، وقد عايش الحرشوي في فاس مرحلة الازدهار العلمي لمتن "العمل الفاسي" لعبد الرحمن الفاسي (ت: 1096هـ)؛ هذا المصنف الذي يُعد دستوراً للقضاء والإفتاء في المغرب الأقصى، حيث يستعرض أحكام العقود والمواثيق والتقييدات، وبدراسته لهذا العلم وشروحه، تمكن

الحرشوي من نقل آليات الضبط القضائي والتوثيقي إلى البيئة الجزائرية، مما ساهم في تحصين المعاملات اليومية بمرجعية فقهية رصينة تجمع بين النص الشرعي والواقع العملي.

6. الخاتمة:

في ختام هذه الورقة العلمية التي استعرضنا من خلالها معالم الشخصية المعرفية للشيخ محمد الحرشوي الندرومي، نخلص إلى أن مسيرته لم تكن مجرد رحلة لطلب العلم، بل كانت مشروعاً لتوثيق الأسانيد وحفظ الهوية العلمية الجزائرية في مرحلة تاريخية فارقة، ومن خلال هذه المسيرة يمكننا تسجيل النتائج التالية:

✓ تجذير قيمة السند: أثبتت الدراسة أن الحرشوي جسّد الوظيفة المعرفية لمفهوم "السند والإجازة" كأداة للتحقيق والتمحيص، مما جعل حقل العلوم الشرعية في وثوقية دائمة في ترصد الأخبار والحوادث.

✓ التواصل المغربي: برز الشيخ كحلقة وصل متينة بين حواضر الجزائر (تلمسان، ندرومة، المدية، مازونة) ومراكز الإشعاع في المغرب الأقصى (فاس، وجدة)، محققاً الجودة المعرفية التي تجاوزت الحدود الجغرافية.

✓ الموسوعية والمنهج: كشفت المؤلفات والتقايد (النهر الفاضل، والأكياس، والمواهب المعطية) عن شخصية تجمع بين علوم النقل (فقه، حديث، قراءات) وعلوم العقل والآلة (منطق، فلك)، مما جعله مقصداً لطلبة العلم وحتى الباحثين والمستشرقين في عصره.

✓ الأمانة العلمية: إن ما قدمه الشيخ من "ثبت" مفصل يعكس دقة المدرسة الجزائرية في الضبط، وإصرار علمائها على استقاء المعارف من منابعها الأصلية مهما بُعدت الشقة وانقطع المعين.

مناهل البحث:

paris: Ernest .et l'enseignement supérieur musulman Fas, son université , (1889). Gaëtan Delphin .leroux

أبو القاسم الحفناوي. (1991م). تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 01). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

الأخضري. (2002م). السلم المرونق في علم المنطق. لبنان: دار الكتب العلمية.

الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن. (1997م). لبنان: دار الغرب الإسلامي.

- القاسمي. (2008). علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية. القاهرة: مكتبة لبنان.
- الولالي. (1999). مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار. المغرب: كلية الآداب والعلوم الانسانية.
- برهان الدين البقاعي. (بلا تاريخ). النكت الوفية بما في شرح الألفية للحافظ العراقي في علم مصطلح الحديث. لبنان: دار الكتب العلمية.
- قيتان دالفان. (2023). القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط. الجزائر: مطبعة كوكب العلوم.
- محمد جمال الدين القاسمي. (2004). قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. سوريا: مؤسسة الرسالة.